قلع عمامته وناولها له وكان لجماعة من الفقرا سيما طلبة العلم وذوي الهيئات والبيوت
كل سنة وشهر واسبوع عليه رواتب من قمح وعسل وللاخرين قمصان وللاخرين رواتب برسم
من طعام وخبز وادام ولم يكن ياكل وحده وكانت مغاليه كالاوقاف يفرقها بعد مغلوب
النايب للفقرا ولا ياخذ منها شيا ولا كثرت استدانته لهذا الصنيع وتركبه الدين حتى ان
ولد الشيخ زين العابدين كان اخرا لا يمكنه من التصرف بل يحجر عليه ويمنع في بعض الاوقات
من وصول الناس اليه قال السخاوي واتفق مرة انه لم يجد معه في عشر رمضان الاخير ما يقوم
بما جرت العادة بمصرفه فتلطف بالزين المنهلي احد اعيان جماعته حتى احضر له نحو مائة
دينار ففرقها ولم تقع موقعا من الكفاية وكان لا يمس بيده درهما ولا دينارا قط كما حكاه
عنه جمع منهم الشمس الجوجري وغيره وكان يبالغ في حسن اعتقاد الفقرا والمجاذيب حتى عاب
عليه ذلك من لم يوفق لرشده وكان يقول انا اعرف الظالم من المظلوم من الفقرا ولا
اتكلم بينهم واذا رايت هذا اخذ عمامة هذا لا انازعه حتى ذكره لي في محفل فقال
بعض الاعيان لرفيقه فربما ليلة توخذ عمامتنا من صوفي فلا ياخذ قاضي القضاة على
يديه وكان يحب مسجد الاثار النبوية ويتوجه اليه بجماعته سيما عند ختم التقسيم ويجتمع
من الناس عنده من لا يحصى وكان شديد التوبيخ لمن يعترض على شيخه العراقي كثير
الحط عليه ويذكر له خوارق منها ان الجان كانت تقرا عليه وان بعض طلبته بينما هو عنده
في خلوته دخل عليه ثعبان ففزع الطالب فاخذ الشيخ في تسكين روعه وعرفه بانه من
طلبة العلم من الجان وانه قال له اما نهيتك عن التزيي بهذا الزي ولامه وانكر عليه
وانه واخا بينهما وعندما اراد الجني التوجه لمحله ببغداد او العراق سال الطالب الشيخ
الاذن له في التوجه معه الى التفرج ببلاده وان الشيخ اذن له في ذلك ووصاه به وانه
تزيا في صورة بعير وامر الانسي ان يركبه وقال له اذا احسست بالبرد الشديد فاعلم
انه علا به في الجو حتى احس بذلك فغمزه فهبط لذلك المكان المقصود هكذا نقله عنه
الحافظ السخاوي عن صاحب الترجمة ثم انه ورث من شيخه ذلك فكان يقري الجن في قاعة
لا يمكن احدا من دخولها غالبا وذكر عنه انه تزوج منهم وكان لهم عليه ضيافة
في كل سنة حين يقطع قصبه فيحضر الطنا كثيرة منه ويرصها في قاعة ويبيت هناك فلا
يوقف لها في صبيحة تلك الليلة على اثر ولا خبر وكان اهل بيته يسمعون مخاطبته اياهم
وجواباته لهم عن الاسيلة والمباحث يعرفه منهم الكبير والصغير بغير نكير وكان في الظاهر
في غاية التنعم وفي الباطن في نهاية التقشف وخشونة الملبس والمعيش فكان يلبس جبة خشنة

تحت

تحت ثيابه الحسنة فاذا دخل الليل نزع ثيابه وصار بالجبة ويقعد في قاعته على حصير ليس
تحته غيره ويتعبد ويطالع الى الصباح واذا غلبه النوم استند للكتب واخذ عنه جماعة
غير ما تقدم كالنجم بن حجي والبرهان بن ظهيرة قاضي مكة وعالمها والشهاب بن ابي السعود
وابن اسد والكمال بن ابي شريف والبرهان اخيه والشيخ زكريا السنيكي والبقاعي وابن
ابي عصرون والزين عبد الحق السنباطي والنجم بن قاضي عجلون واخذ عنه شرح الالفية العراقي
التاج السكندري وابو يزيد المالكيان واختلى عنده جماعة كثيرون مرارا مديدة منهم البرهان
الانصاري اخو الزين والشمس الخالدي والشيخ عبد الرحمن المغربي ومن نظمه

الى الله اشكو محنة اشغلت بالي * لمن هولها ربع اصطباري غدا بالي
ومالي مامول سوى سيد الورى * فاني بذاك الجاه علقت امالي

وكتب اليه الزيني صلاح الدين الاسيوطي وقد رام الاجتماع به في جامع عمرو فلم يسمح
به لشغله بالاعتكاف

هذا لعمري جامع قد ضمنا * والقلب نحوك بالدمن شيق
لكن تخلف مانع لضرورة * فاعجب له من جامع ومفرق

فاجابه الشيخ بقوله

الجامع العمري لما يقتضي * جمعا ويجمعني فيمنعني التقي
وقدمت ما نخده على ما يقتضي * فاعجب له من جامع ومفرق

قال الشهاب الحجازي ومن نظمه وقد سمع قول ابي غالب في ذم العذار وهو

ساصنع في ذم العذار بدايعا * فمن شا فليقص الدليل كما اقتفي
الا انه كاللام واللام شانها * اذا الصقت للاسم صار الى الخفض

فقال

بلى انها لام ابتدا المحبة * اذا اللام للتوكيد ليست الى لدى الخفض
فلو ابصرت عيناك والمسك قد نشي * على خده الوردي كنت اذا تقفي

ومن نثره فيما كتبه للحافظ السخاوي في اجازته له لما قرا عليه المسلسل بالاولية وفوايد
تمام والغيلانيات والسيرة النبوية الهشامية وسداسيات الرازي والاربعين البلدانية
والشمايل النبوية الترمذية والبسه الخرقة الصوفية واخذ عليه العهد ما نصه فلما اشرف
علم الحديث على الاندراس من التدريس حتى لم يبق منه الا الاثر والانفصال من الاتصاف
حتى لم يبق منه الا الخبر انتدب لذلك الاخ في الله الامام العلامة الحافظ الناشي
الالمعي الفهامة الحجة في السنن على اهل زمانه المشمر في ذلك عن ساق الجد في سر واعلانه

Copyright © King Saud University